(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

**القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة:١١٧-١١٩]**

**الشيخ:** أحسنت، لا إله إلا الله

يخبر تعالى عن توبته على عباده، الرسول والمهاجرين والأنصار، ويخص الثلاثة الذين خُلِّفوا، {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} {اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} وهي ساعة النفير لغزوة تبوك، ولهذا يُعرَف ذلك الجيش بجيش العسرة، وعثمان هو مُجهّز جيش العشرة لأنها غزوة عظيمة مُكْلِفة، وكان جيش المسلمين -فيما ذُكر- ثلاثين ألفًا، {الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ} اتبعوا الرسول، {وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ} اتبعوا الرسول {فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ}، {كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ} بإيثار التخلُّف عن الغزوة، ولكن الله ثبَّتهم، ففازوا بالجهاد في سبيل الله واتِّباع رسوله ﷺ.

وتاب -سبحانه وتعالى- على الثلاثة الذين أَخَّرَ النبي عليه الصلاة والسلام أمرَهم، لما رجع من غزوة تبوك جاء المُعَذِّرون من الأعراب وغيرهم يطلبون من النبي ﷺ أن يستغفر لهم ويذكرون أعذارهم، وكان النبي يقبل منهم ويستغفر لهم ويَكِلُ سرائرَهم إلى الله، أما هؤلاء الثلاثة، ومنهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، هؤلاء أقروا بأنه لا عذر لهم في التخلف، فأخَّرَ النبي أمرَهم حتى يحكم الله فيهم، ثم إنه -عليه الصلاة والسلام- أمر بهجر الناس لهم، وألا يُكلِّمهم أحد، فـ {ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ}، الله أكبر، {تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} فصدقوا الله فأكرمهم بالتوبة عليهم، وأنزل القرآن في شأنهم، فصار لهم ذِكر، صار لهم ذِكر إلى يوم القيامة على مرِّ القرون وهذه الآيات تُتلى، {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} نعم، يا مُحَمَّد! الله أكبر

**(تفسير السعدي)**

**القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

**قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسير قول الله تعالى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ} الآيات:**

**يخبر تعالى أنه من لطفه وإحسانه تاب على النبي مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم {وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ} فغفر لهم الزلات، ووفَّر لهم الحسنات، ورقَّاهم إلى أعلى الدرجات، وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقَّات، ولهذا قال: {الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} أي: خرجوا معه لقتال الأعداء في وقعة تبوك وكانت في حر شديد، وضيق من الزاد والركوب، وكثرة عدو، مما يدعو إلى التخلف.**

**فاستعانوا الله –تعالى– وقاموا بذلك {مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ} أي: تنقلب قلوبهم، ويميلوا إلى الدَّعَةِ والسكون، ولكن الله ثبَّتهم وأيدهم وقوَّاهم. وزَيْغُ القلب: هو انحرافه عن الصراط المستقيم.**

**الشيخ:** {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا}، هذه دعوة الراسخين في العلم، {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً} [آل عمران:٨] دعاء عظيم، ومثله ما جاء في السنة: (يا مقلِّب القلوب ثبِّتْ قلوبنا على دينك)، نعم.

**القارئ: فإن كان الانحراف في أصل الدين، كان كفرًا، وإن كان في شرائعه، كان بحسب تلك الشريعة، التي زاغ عنها، إما قصَّر عن فعلها، أو فعلها على غير الوجه الشرعي.**

**وقوله {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} أي: قبل توبتهم {إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} ومن رأفته ورحمته أن مَنَّ عليهم بالتوبة، وقبلها منهم وثبَّتهم عليها.**

**الشيخ:** والتوبة ما يلزم أن تكون في مثل هؤلاء، التوبة منزلة من منازل الدين ومنازل الإيمان، لا يستغني عنها أحد، لهذا قال الله: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ} والرسول دائما يقول: (اللهم اغفر لي وتُب عليَّ، إنك أنت التوّاب الرحيم)، فهي منزلة ومقامٌ لا يستغني عنه أحد، فعلى المسلم أن يستغر الله ويتوب إليه دائمًا يسأل ربه المغفرة، يسأله أن يُوفّقه للتوبة النصوح، "اللهم اغفر لي وتُب عليّ" هكذا، كان الرسول يُكرّر ذلك ويَعدُّ له الصحابة في المجلس الواحد كذا وكذا أكثر من سبعين مرة، الله أكبر، نعم.

**القارئ: {و} كذلك لقد تاب الله {عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} عن الخروج مع المسلمين، في تلك الغزوة، وهم: "كعب بن مالك" وصاحباه، وقصتهم مشهورة معروفة في الصحاح والسنن.**

**الشيخ:** قصة عظيمة، قصة عظيمة رواها كعب وهي مؤثِّرة على نفس المؤمن، تبعث على الرِّقة، رِقّة القلب، مؤثرة، قصة توبتهم وما جرى لهم في هذا السبيل، الله أكبر، نعم بعده.

**القارئ: {حَتَّى إِذَا} حزنوا حزنًا عظيمًا، و{ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} أي: على سعتها ورَحْبِها {وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ} التي هي أحب إليهم من كل شيء، فضاق عليهم الفضاء الواسع، والمحبوب الذي لم تجرِ العادة بالضيق منه، وذلك لا يكون إلا من أمر مزعج، بلغ من الشدة والمشقة ما لا يمكن التعبير عنه، وذلك لأنهم قدموا رضا الله ورضا رسوله على كل شيء.**

**{وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلا إِلَيْهِ} أي: تيقنوا وعرفوا بحالهم، أنه لا يُنْجِي من الشدائد، ويُلجأ إليه، إلا الله وحده لا شريك له، فانقطع تعلقهم بالمخلوقين، وتعلقوا بالله ربهم، وفروا منه إليه، فمكثوا بهذه الشدة نحو خمسين ليلة.**

**{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} أي: أَذِنَ في توبتهم ووفقهم لها {لِيَتُوبُوا} أي: لتقع منهم، فيتوب الله عليهم، {إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ} أي: كثير التوبة والعفو، والغفران عن الزلات والعصيان، {الرَّحِيمُ} وصفه الرحمة العظيمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية.**

**وفي هذه الآيات دليل على أن توبة الله على العبد أجلُّ الغايات، وأعلى النهايات، فإن الله جعلها نهاية خواص عباده، وامتنَّ عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها.**

**ومنها: لُطفُ الله بهم وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة.**

**ومنها: أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر.**

**ومنها: أن توبة الله على عبده بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا يبالي بالذنب ولا يُحرَج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة.**

**ومنها: أن علامة الخير وزوال الشدة، إذا تعلق القلب بالله تعالى تعلقًا تامًّا، وانقطع عن المخلوقين.**

**ومنها: أن من لطف الله بالثلاثة، أن وسمهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: {خُلِّفُوا} إشارة إلى أن المؤمنين خلَّفوهم، أو خلَّفوا عن من بُتَّ في قبول عذرهم، أو في ردّه، وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: "تخلفوا".**

ومنها: أن الله تعالى مَنَّ عليهم بالصدق، ولهذا أمر بالاقتداء بهم فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} .

أي: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} بالله، وبما أمر الله بالإيمان به، قوموا بما يقتضيه الإيمان، وهو القيام بتقوى الله -تعالى- باجتناب ما نهى الله عنه والبعد عنه.

{وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم، وأحوالهم لا تكون إلا صدقًا خلية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فـ(إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة).

قال الله تعالى: {هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} الآية.

**الشيخ**: أحسنت، انتهى